من قوم نوح وقوم لوط ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا
تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع
كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم بنت عمران وما أوتيت
من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا
وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما
من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده
لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن
لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين
والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن
العالم ويزل عن تبصره فإن قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى
التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به
الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين
العلمين بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم
إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانة لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح
لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده
فإن قلت ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما
على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه إنه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه
ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف
الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس

ما بغت

ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام
آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الإفك فعذبها فرعون عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها
ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها
فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة
فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي أريت بيتها في الجنة
وقيل إنه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فإن قلت ما معنى
الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه
ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون
جنتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب إلى
العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون أو من نفس فرعون
الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام
والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه
دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن
والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء رب افتح بيني وبينهم فتحا ونجني
ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود
فيها كما قرئ في سورة الأنبياء والضمير للجملة ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب
الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج
لها تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن وصدقت قرئ بالتشديد وبالتخفيف على
أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى
التصديق بعينه فإن قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز أن يراد بكلماته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)